مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: بجاية في العصر الوسيط- دراسة في أحوالها... ص.ص 700- 714.

بجاية في العصر الوسيط – دراسة في أحوالها الاقتصادية من القرن 5 إلى 10هـ/11-16م

خالد حموم
جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2
khaled_dz2011@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/02/22؛ تاريخ القبول:2021/11/08

Bejaia in the Middle Ages - a study of its economic conditions

From the 5 AH to the 10 AH / 11-16 AD century

Abstract:

The city of Bejaia became famous in the medieval period, especially during the Hammadi era, when it was made by Al-Nasir bin Alanas, within the year 461 AH/1068 CE, the capital of his state and called it Nasiriyah.

The city has witnessed a major development in its agriculture and industry, and trade flourished in it thanks to its seaport and its huge fleet, and its foreign trade took place in particular with Europe and the countries of the Islamic world such as Countries (Bilad) al-Sham, Egypt and others.

Keywords: Bejaia; maghreb Central; Middle Ages; Economy; Trading.

الملخص:

اشتهرت مدينة بجاية في العصر الوسيط، خاصة في العهد الحمَّادي حيث جعلها النَّاصر بن علنَّاس في حدود سنة 461هـ /1068م عاصمةً لدولته وأطلق عليها اسم النَّاصرية.

وقد عرفت المدينة تطورًا كبيرًا في زراعتها وصناعتها، وازدهرت فيها التِّجارة بفضل ميناءها البحري وأسطولها الضَّخم، وكانت تجارتها الخارجية تتم بالخصوص مع أوروبا ودول العالم الإسلامي مثل بلاد الشام ومصر وغيرهما.

- الكلمات المفتاحية: بجاية – المغرب الأوسط - العصر الوسيط – الاقتصاد – التجارة.

مقدمة:

شهدت بجاية في العصر الوسيط ازدهارًا اقتصاديًا منقطع النظير، حيث ساهم مينائها في تطور زراعتها وصناعتها وفي تنشيط تجارتها الخارجية مع أوروبا ودول العالم الإسلامي، وقد اعتنى الرحالة والجغرافيون مثل الإدريسي وصاحب الاستبصار وغيرهما بوصف الحالة الاقتصادية والمبادلات الخارجية لمدينة بجاية خلال العهد الحمَّادي والموحِّدي والحفصي.

وأحاول من خلال هذا البحث معالجة الإشكالية التالية: ما هي الأسباب التي أدت إلى ازدهار زراعة وصناعة بجاية ومبادلاتها الخارجية في العصر الوسيط ؟

وقد طرحت من أجل الإجابة على هذه الإشكالية العديد من التَّساؤلات: من هم الحمَّاديون ومتى أسَّسوا مدينة بجاية ؟ من هو العهد الأكثر ازدهارًا في الجانب الاقتصادي، العهد الحمَّادي أو الموحِّدي أو الحفصي؟ ما هو مقدار ونوعية المبادلات التجارية بين بجاية ودول العالم ؟

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّلت عمليَّة سرد الأحداث منهج التَّحليل والنَّقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثَّفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج.

- الزراعة:

كانت الحياة الاقتصادية لمدينة بجاية في العصر الوسيط متطورة، ومزدهرة ازدهارًا كبيرًا جدًا في الميدان الزراعي والصناعي والتِّجاري خاصةً في العهد الحمَّادي، حيث أصبحت بجاية في عهدهم عاصمةً للدَّولة، بعد انتقال النَّاصر بن علناس إليها في حدود سنة 457هـ/1064م وهذا حسب ما ورد عند ابن الأثير والذهبي (ابن الأثير. 1982: 46 وما بعدها) (الذهبي. 1994: 289)، في حين يقول ابن خلدون أنَّ الانتقال كان في حدود سنة 461هـ/1068م. (ابن خلدون، عبد الرَّحمان. 1971: 174).

ونستدل على أنَّ الزراعة في بجاية خلال العهد الحمَّادي كانت مزدهرة، من شهادة الإدريسي المعاصر لهذه الفترة حيث قال <ولبجاية بوادٍ ومزارع والحنطة والشعير بها موجودة بكثرة، والتِّين وسائر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد> (الإدريسي، 1983: 161).

ويؤكد صاحب الاستبصار المعاصر هو الآخر للفترة الحمَّاديَّة (عاش في القرن السادس الهجري) كلام الإدريسي بأنَّ بجاية زراعتها وفيرة، حيث قال <ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات وهي مشرفة نزيهة، ومطلَّة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال، تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم، وله نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، وله منتزه عظيم> (مجهول، الاستبصار. د.ت: 130).

وبالنِّسبة للعهد الموحِّدي فقد ذكر الحموي المعاصر للفترة أيضًا، جملةً في غاية الدِّقة والبلاغة تدل على غنى مدينة بجاية، حيث قال <وبجاية مفتقرة إلى جميع البلاد، لا يخصُّها من المنافع شيء> (الحموي، ي. 1979: 339)، وهو الرأي الذي ذهب إليه ابن سعيد المغربي، حينما ذكر بأنَّ بجاية قاعدة المغرب الأوسط، ولها نهر في نهاية من الحسن على شاطئيه البساتين والمنتزهات (ابن سعيد المغربي. 1970: 142)، ويذكر ابن سعيد أيضًا أنَّ جبال الرحمة الموجودة على الساحل الشرقي لمدينة بجاية فيها القطن والتِّين (ابن سعيد المغربي. 1970: 142).

أمَّا العهد الحفصي والذي تعتبر فيه مدينة بجاية أهم مدينة للحفصيّين بعد العاصمة تونس في جميع المجالات، منها الميدان الزراعي الذي يقول عنه أبو الفداء المعاصر للفترة بأنَّ بجاية قاعدة الغرب الأوسط، لها نهر على شاطئه بساتين (أبو الفداء. 1840: 137).

وتحدث أيضًا الحسن الوزان الذي عاش في أواخر العهد الحفصي عن مدينة بجاية، حيث قال <سكانها كانوا على قدر عظيم من الغنى> (الحسن الوزان. 1983: 50)، ويقصد هنا الفترة التي سبقت احتلال الإسبان للمدينة سنة 915هـ/1510م، وحينما وقع الاحتلال تغيرت الحالة الزراعية لبجاية خاصة إنتاج الحبوب وقد أكد ذلك الحسن الوزان حينما قال <عاش سكانها في فقر لأنَّ الأراضي الزراعية غير خصبة، لا تستطيع أن تنتج حبوبًا>. ويبدوا أنَّ الإسبان قاموا بالاستيلاء على الأراضي الخصبة، وطرد البجائيون منها إلى الفيافي والجبال، فالأراضي هناك لا تصلح للزراعة، وبلا أدنى شك فقد قاموا أيضًا بإتلاف محاصيلهم الزراعية.

وسجَّل الوزان خلال هذه الفترة استثناءً فيما يخص الثمار حيث قال <لكنهم في المقابل مغمورون بالثمار، إذ يحيط بالمدينة عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار، لاسيما من جهة الباب المؤدي إلى ناحية الشرق> (الحسن الوزان. 1983: 50).

وعلى الإجمال فالمحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها مدينة بجاية وأحوازها في العصر الوسيط بالتَّحديد في الفترة الحمَّاديَّة والموحديَّة والحفصيَّة أي من القرن 5 – 10هـ/11-16م تتمثل في الحبوب والقمح والشعير والفول والعدس والحمص والذرة والبسلا، ومن الفواكه العنب والتين والرمان والسفرجل والتفاح والكمثري والعنب والزعرور والخوخ والمشمش والتوت والقراصيا والزيتون والأترج والليمون والنارنج واللوبيا واللفت والباذنجان، ومن الزهور الرياحين والياسمين والنرجس (عويس، عبد الحليم. 1991م: 222).

وممَّا لا شك فيه أنَّ الازدهار الزراعي لمدينة بجاية انعكس بالإيجاب على تربية الحيوانات، مثل البقر والغنم والماعز وغيرها.

فقد كانت بجاية تصدر كميات كبيرة من الصوف إلى فرنسا وايطاليا ممَّا يدل على أهمية تربية المواشي بالمدينة (العربي، إ. د.ت: 249).

وعن الحيوانات البرية فهي الأخرى كانت منتشرة في بجاية ويرجع ذلك لكثرة الجبال والغابات المحيطة بها، ويذكر صاحب الاستبصار أنَّ جبل مسيون في بجاية كثير القردة، و به الحيوان المشوك المسمى بالذرب (مجهول، الاستبصار. د.ت: 130).

- الصناعة:

رغم أنَّ الإدريسي يقول أنَّه توجد في بجاية من الصناعات كل غريبة ولطيفة، ويقول أيضًا أنَّ بجاية بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد (الإدريسي، 1983: 161)، إلَّا أنَّ المعلومات تبقى شحيحة على العموم في المصادر التَّاريخيَّة والجغرافيَّة عن الصناعة في بجاية خلال العصر الوسيط، وبالرغم من ذلك نستشف من المصادر الجغرافية بعض المعلومات التي تدل على رواج الصناعة خاصة صناعة السفن في ميناء بجاية البالغ الصيت.

حيث يذكر الإدريسي أنَّ بجاية <بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب، والسُّفن والحرابي، لأنَّ الخشب في أوديتها وجبالها موجودة بكثرة> (الإدريسي، 1983: 161)، وأكد صاحب الاستبصار هذا الكلام أيضًا حينما قال <أنَّ بجاية لها داران لصناعة المراكب وإنشاء السُّفن> (مجهول، الاستبصار. د.ت: 130).

ومن الصناعات الموجودة في بجاية أيضًا الصناعات المنجمية، لتوفر معدن الحديد بها وقد ذكر الحِميري ذلك حيث قال <أنَّ بجاية بها معادن الحديد الطيب> (الحِميري، م. 1975: 81).

ويبدوا أنَّ صناعة الأعشاب الطبية في بجاية كانت رائجة، على اعتبار أنَّه توجد في جبل ميسون الكثير من النباتات التي تستعمل في هذا الشأن، وذكر الإدريسي هذا الأمر حيث قال <وفي بجاية من جهة الشمال جبل يسمى ميسون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى، ومن أكنافه جُمل من النبات المنتفع بها في صناعة الطب، مثل شجر الحضض، والسقولوفندوريون والبرباريس والقنطاريون الكبير والزراوند، والقسطون، والأفسنتين وغير ذلك من الحشائش> (الإدريسي، 1983: 160-161)، (المقريزي. 2006: 67).

وقد عرفت صناعة الفخار والخزف تقدمًا كبيرًا في مدينة بجاية، كما تشهد بذلك القطع الأثرية التي اكتشفت في قلعة بني حمَّاد وبجاية والتي يحتفظ بها متحف الجزائر، واللون المتغلب في زخارف هذه البقايا هو اللون البني والأخضر، وأمَّا اللون الأصفر فقليل الظهور، بينما لم يظهر الأزرق إلَّا في القطع التي يعود تاريخها إلى فترات متأخرة نسبيًا (العربي، إسماعيل. د.ت: 241).

ونتيجة لوجود الخشب الذي تمتلئ بأشجاره جبال بجاية والمدن التي تحيط بها، حسب ما تذكر المصادر الجغرافية، وجدت صناعة النجارة، يدلنا على هذا ذلك الصندوق الخشبي المحفور ذو القفل البرونزي الذي يمثل تقليدًا شائعًا في كل أنحاء منطقة القبائل، والذي يعود إلى أقدم صفحات التَّاريخ. ولا شك أنَّ ثمة صناعات أخرى في بجاية مثل الصناعات اليدوية الخفيفة، التي تسد الحاجات الأساسية للناس (عويس، عبد الحليم. 1991م: 226).

- المبادلات التجارية:

يذكر المؤرخ إسماعيل العربي أنَّه كانت في دولة بني حمَّاد نيف وست وعشرون مرسى، ومعظم هذه المراسي تقابلها مراسي على ساحل الأندلس أو في جزر البليار، ممَّا يجعل الملاحة بين الشاطئين تسير في خط مستقيم. وكثرة المراسي في الدَّولة الحمَّادية وتقارب المسافات بينهما، يدل دلالة واضحة على قوة التبادل التجاري بين الدَّولة الحمَّادية وبر الأندلس (العربي، إسماعيل. د.ت: 243).

ومن بين أشهر مراسي الحمَّاديّين مرسى العاصمة بجاية، هذا الميناء الذي حدثت فيه مبادلات تجارية كبيرة جدًا مع مختلف الأقطار كالدول الأوروبية، وبلاد الأندلس وبلدان العالم الإسلامي مثل الشام ومصر واليمن، بالإضافة إلى الهند والصين وغيرها.

وقد أكد ذلك الإدريسي حينما قال عن بجاية بأنَّ <السُّفن إليها مقلعة، والقوافل مُنحطة، والأمتعة إليها برًا وبحرًا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة> (الإدريسي، 1983: 161).

ويقول صاحب الاستبصار في هذا الشأن أيضًا <وفي بجاية مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها، ومن أقصى بلاد الروم، وسُفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها> (مجهول، الاستبصار. د.ت: 130).

ويؤكد الحموي هذا الكلام أيضًا حيث قال <إنَّما بجاية هي دار مملكة تركب منها السُّفن وتسافر إلى جميع الجهات> (الحموي، ي. 1979: 339)، ويذكر البكري في هذا الصدد <أنَّه يوجد بشرق مدينة بجاية نهر كبير تدخله السُفن محمَّلة> (البكري. 1857: 82).

وبالنِّسبة لتجارة بجاية مع الدول الأوروبية البحرية فقد عقدت بينهما في العهد الحمَّادي معاهدات تجارية وقنصلية دقيقة (الجيلالي، عبد الرَّحمان. 1980: 298).

وقد كانت ايطاليا بمدنها المختلفة أبرز الدول الأوروبية البحرية التي أقام الحمَّاديون معها علاقات تجارية واسعة النطاق (عويس، عبد الحليم. 1991م: 230-231) ويؤكد هذا الكلام المستشرق "أرشيبالد .ر. لويس" حينما قال أنَّ حكام الدولة الحمَّادية أقاموا وبشكل كبير علاقات تجارية مع الايطاليين، وترجع هذه العلاقات إلى بداية القرن السَّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وربما إلى ما قبل ذلك (أرشيبالد .ر. لويس. د.ت: 386).

وسارع حكام الدولة الموحِّديَّة بدورهم لعقد اتفاقيات سلام مع بعض الجمهوريات الإيطالية، وهو ما سمح بتعزيز مكانة بجاية في التجارة الخارجية، وتظهر وثائق جنوة (les documents génois) منذ منتصف القرن الثاني عشر، أن ميناء بجاية كان في ذلك الوقت أحد الوجهات الرئيسية للتجار الليغوريين (Ligures) إلى جانب سبتة وتونس (Dominique VALERIAN, 2013: 53).

ومن بين الجمهوريات الإيطالية التي عقد الموحِّدون معها اتفاقيات لها علاقة بالتجارة مع مدينة بجاية، جمهورية جنوة، ففي عام 555هـ/1160م أو 556هـ/1161م، جدد الجنويون معاهدتهم التجارية مع الخليفة الموحِّدي عبد المؤمن بن علي، كفلت لهم حرية التجارة وحرية تنقل الأشخاص في جميع أراضي وبحار الدولة الموحدية، وبالمقابل حددت المعاهدة ثمانية في المائة رسوم تدفع للموحِّدين على

واردات جنوة للمغرب بأكمله، باستثناء ميناء بجاية، حيث تم رفع التعريفة إلى عشرة في المائة، بالنظر إلى أن ربع الرسوم المحصلة في بجاية تعاد إلى جمهورية جنوة. ومن الواضح أن هذا التحفظ حول العلاقة التجارية مع بجاية، يرجع سببه إلى الاتفاقيات السابقة التي كانت تنظم ظروف تجارة جنوة في بجاية، والتي ربما تعود إلى العهد الحمادي (Laurent-Charles FÉRAUD, 2013: 81).

كما عقدت جمهورية بيزا (بيشة) (Pise) بدورها اتفاقيات تجارية مع الدولة الموحدية تخص مدينة بجاية، فقد أرسلت حكومة بيزا، إلى الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن رسالة، وهي عبارة عن شكوى تبين تجاوز المشرف المالي في بجاية حدود العهد التجاري المكتوب بين الطرفين، وتذكِّر بما يتضمنه هذا العهد من التأمين لتجار بيزا في الأنفس والأموال برًا وبحرًا، وبعدم مطالبتهم بغير العُشر، والرِّسالة مؤرخة يوم 26 صفر 578م الموافق للفاتح من شهر جويلية 1182م. (عزاوي، أحمد. 1995: 162 وما بعدها) (عن نص الرِّسالة، انظر: الملحق المرفق بالمقال).

وهناك رسالة أخرى لها علاقة بتجارة جمهورية بيزا مع مدينة بجاية الموحِّدية، وهي عبارة عن اتفاقية للسلام والتجارة بين الموحِّدين وحكومة بيزة، وهذه الاتفاقية جاءت بطلب من حكومة بيزا، فوافق الخليفة الموحدي يعقوب المنصور على اتفاقية صالحة لمدة خمسة وعشرون سنة، مؤرخة بأوائل رمضان سنة 582هـ/ أواخر نوفمبر 1186م، سمح لهم فيها بالتجارة مع أربع مدن فقط في ساحل بلاد المغرب من بينها مدينة بجاية (عزاوي، أحمد. 1995: 173 وما بعدها).

ولم تقتصر تجارة بجاية في واقع الأمر مع الخارج عن طريق مينائها فقط، بل هناك طرق تجارية خارجية عن طريق البر، منها التجارة مع بلاد الشرق والمغرب الأدنى والأقصى وبلاد السودان الغربي. ففيما يخص الشرق ارتبطت به بجاية عن طريق طرابلس وبرقة، أما بلاد السودان الغربي ارتبطت به عن طريق سجلماسة،

وكانت منتجات بجاية ومدن المغرب الأوسط تنتقل لتلك البلدان وتعود القوافل محملة بالبضائع (العربي، إسماعيل. د.ت: 244).

نشير إلى أنَّ تجارة بجاية خلال العصر الوسيط لم تقتصر على الخارج بل هناك تجارة داخلية ربطت بجاية بمختلف مدن المغرب الأوسط. وعلى سبيل المثال يذكر الإدريسي أنَّ بجاية خلال العهد الحمَّادي يجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران (الإدريسي، 1983: 161).

كما نشير إلى أنَّ تجارة الحمَّاديّين تحولت من تجارة برية لما كانت عاصمتهم القلعة، إلى تجارة بحرية لما انتقلت عاصمتهم إلى بجاية في حدود سنة 461هـ/1068م، أي أنَّ الدَّولة الحمَّادية في عاصمتها الثانية بجاية، أصبحت أكثر انفتاحًا على الصعيد الخارجي، خاصةً في الميدان التجاري، بفضل مينائها البالغ الشهرة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنَّ الحمَّاديّين أهملوا التجارة البرية الداخلية منها والخارجية.

ويذكر إسماعيل العربي في هذا الشأن أنَّ الحمَّاديّين لما تحولوا للتجارة البحرية، تجنبوا الاختناق الاقتصادي بعد ما أصبحت طرق القوافل مهجورة، بسب قطعها من قبل العرب (العربي، إسماعيل. د.ت: 244-245).

وعلى العموم فقد تمثلت المبادلات التجارية بين بجاية ودول العالم في العصر الوسيط، في العديد من المنتجات، فقد كانت البندقية تمد بجاية وبلاد المغرب بالخشب الخام والمصنوع، وألمانيا تمدها بالأسلحة، مثل الدروع والخوذات وغيرها، وتستورد بجاية مثل باقي بلدان المغرب من أوروبا الأحجار الكريمة والعقيق والياقوت والمرجان المصنوع ومختلف أنواع المجوهرات، كما تُستجلب إلى بجاية وبلاد المغرب من ايطاليا إلى جانب المعدن الخام، أسلاك الحديد والأبواق النحاسية، والأواني المصنوعة من مختلف المعادن، وتصل توابل الهند مثل جوز الطيب والقرنفل والراوند والزنجبيل والقرفة وغيرها إلى بجاية، وبلاد المغرب عن طريق الموانئ الأوروبية والإسكندرية والقيروان (العربي، إسماعيل. د.ت: 245-246).

وفي المقابل صدَّرت بجاية وباقي مدن المغرب الأوسط إلى الدول الأوروبية، الخيول، والسمك المقدد، الجلود المدبوغة والمصبوغة، والمواد التي تستعمل للدباغة مثل القشور المعروفة بالقشور البجائية، والشمع وزيت الزيتون، والتمر والفستق واللوز والتين المجفف والزبيب الجيد، والقطن والصوف، وصدرت إلى الشرق الرصاص والحديد (العربي، إسماعيل. د.ت: 247 وما بعدها).

كما شغلت بجاية كغيرها من مدن المغرب الأوسط دور الوسيط في تجارة العبيد والذهب بين أوروبا وبلاد السودان الغربي. (العربي، إسماعيل. د.ت: 234-244).

ـ خاتمة:

انعكس بالإيجاب توفر عامل الأمن والأمان في مدينة بجاية من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجريين، على الحياة الاقتصادية، حيث ازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة، ففي العهد الحمَّادي لم تتعرض بجاية للتخريب من قبل الأعراب، أمَّا في العهد الموحِّدي فالدَّولة على العموم كانت قوية وعاشت مدنها في أمان وتمكنوا من التَّخلص من الخطر النورماندي، أمَّا العهد الحفصي فرغم وقوع بجاية في الحدود مع الدَّولة الزيانية إلَّا أنَّها لم تكن مثل تلمسان مصرحًا للقتال بين الدول الثلاث الحفصيَّة، الزيانيَّة والمرينيَّة.

ساهم ميناء بجاية مساهمة فعالة في ازدهار التجارة الخارجية مع مختلف الأقطار والدول، مثل أوروبا خاصةً الجمهوريات الإيطالية، بلاد الأندلس، مصر، بلاد الشام، اليمن، الهند، الصين وغيرها من الدول والأصقاع.

توفر الإنتاج الزراعي والصناعي ساهم في تنشيط المبادلات التجارية بين مدينة بجاية وباقي دول العالم.

لم تقتصر المبادلات التجارية بين مدينة بجاية وباقي دول العالم على بلد واحد بعينه، بل شملت الكثير من الدول الأوروبية والإسلامية.

تنوعت الصادرات والواردات بين بجاية وأوروبا وبلدان العالم الإسلامي، حيث شملت العديد من المنتجات الزراعية والصناعية والحربية.

رغم بعض الغارات التي كانت تقوم بها السفن الحربية من بجاية، بونة، المهدية على المدن الإيطالية وشواطئ بيزنطة بين الفينة والأخرى، والغارات التي كان يشنها النورمان على سواحل بجاية وبلاد المغرب، إلَّا أنَّ ذلك لم يحل دون قيام علاقات تجارية وثيقة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط، خاصة مع الجمهوريات الإيطالية.

- الملاحق:

- ملحق عبارة عن: رسالة من حكومة بيزا إلى الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن، وهي عبارة عن شكوى تبين تجاوز المشرف المالي في بجاية حدود العهد التجاري المكتوب بين الطرفين

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله حق حمده، إلى أمير المؤمنين إمام الموحِّدين أبي يعقوب يوسف بن أمير المؤمنين، أيد الله أمرهم أمرهم وأعز نصرهم، معظمون مقامه وملتزمون أعطايه، أُبَلِّدُهْ مطران بيشة وكرسقة وسردانية وقناسلتها وقمامستها وأهل العقد والحل فيها، سلام كريم حفيل على الحضرة المكرمة ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله على العلم والإيمان به أنه الحكيم العليم، الأول القديم، الذي لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأقدار، ولا تقف على كنه عظمته الأخطار، الموجود بكل مكان، الخارج عن كل زمان، كان بلا ابتداء، الدائم بلا فناء، نحمده جل وتعالى ونسأله بعزته وعظمة قدرته أن يديم العزة إلى أمير المؤمنين موفور الجملة، متواصل النعمة، منصور الرايات منجح الطلبات ؛ ملأ الله أيامه سعدًا ونجحًا، وأوسع جنده نصرًا وفتحًا، بمنه وطَوله، وحوله وقوته.

كتابنا إلى الحضرة المؤيدة – أدام الله عزها وأعز نصرها - من مدينة بيشة حرسها الله، ونحن واقفون على التزام رسوم العهد

المكرم وحدوده، والجري على مراسمه المتعارفة في إطلاقه وتقيده، ومثل ذلك عهدنا عن الأمر العزيز في هذه المدة السالفة عهد شديد الأحوال، بعيد فيما علمنا عن الوهن والاختلال، حافظ عهدته لما يحفظه العهد المؤكد من النفوس والأموال، والآن وصلنا - أيد الله أمركم وأعز نصركم - على ألسنة تجارنا الواردين من بجاية - عمرها الله - أنَّ أبا عمرو بن علي بن حسون متولي إشرافنا فيها أنهى إليهم، وأنفذ أمره إليهم أن لا يبيعوا ولا يشتروا من أمتعتهم وأنواع سلعهم التي كانت عادتهم شراءه، والتصرف به إلَّا أن يجلب كل واحد منهم ممن تبلغ بضاعته خمسمائة دينار درعًا كبيرًا جيدًا، وهذا أمر ليس يقتضيه العهد المحكم، ولا الأمر النافذ الملتزم الذي نقض لعهده ولا حل لعقده، فهو عندنا وعندهم عهد ملتزم مؤكد، ورسم مكتوب مبرم مجدد بالأمن والأمان، لا نائبة تنوبهم ولا ضريبة تلتزمهم سوى العشر المعتاد أخذه منهم.

فرغبنا إلى الحضرة المكرمة - أيد الله نصرها - أن ينفذ أمرها العالي إلى العمال والمتصرفين في أنظارها أن يحملوا تجارنا ومسافرينا على ما جرت به عادتهم في ما تقدم من الإقبال والإيراد، ولا يطلبون منهم خلاف ما عاينوه من المألوف منه والمعتاد، ولا يهوبهم فزعًا ولا يندهونهم بإذاية برًا وبحرًا، والله بعزته يبقي ما بيننا على ما يرضاه موصولًا، ولا يجعل للغير عليه سبيلًا، بمنه ويمنه وحوله وقوته، وسلام الله الأعم الأكرم على حضرة سيدنا الأعظم ورحمة الله تعالى وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وكتب في أول شهر يوليو سنة ألف ومائة واثني وثمانين لالتحام المسيح السيد.

(أ) مير المؤمنين وإمام الموحِّدين

(أ) يد الله أمره وأعز نصره (عزاوي، أحمد. 1995: 165-166).

- المراجع:

- ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي الشيباني، (1982م). **الكامل في التاريخ**، مج10، بيروت: دار صادر.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس الحمودي الحسني، (1983م). **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، (1857م). **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، الجزائر: المطبعة الحكومية.

- الجيلالي، عبد الرَّحمان بن محمَّد، (1980م). **تاريخ الجزائر العام**، ط4، ج1، بيروت: دار الثقافة.

- الحسن الوزان الفاسي، ليون الإفريقي، (1983م). **وصف إفريقيا**، ط2، ج2، ترجمة محمَّد حجي، محمَّد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- الحموي، شهاب الدِّين ياقوت بن عبد الله الحموي الروميّ البغدادي، (1979م). **مُعجم البلدان**، مج1، بيروت: دار صادر.

- الحِميري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد المنعم، (1975م). **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عبَّاس، بيروت: مكتبة لبنان.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان (1971م). **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيامَّ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، ج6، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات.

- الذهبي، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان، (1994م). **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام**، ط1، مج30، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي.

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن عليّ بن سعيد بن موسى بن عبد الملك، (1970م). **كتاب الجغرافيا**، ط1، حقَّقه ووضع مقدِّمته وعلق عليه إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- العربي إسماعيل، (د.ت). **دولة بني حمَّاد ملوكُ القلعَةِ وبجاية**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- عزاوي أحمد، (1995م). **رسَائِل مُوحدية، مجموعة جديدة (القسم الأول)**، ط1، ج1، تحقيق ودراسة أحمد عزاوي، القنيطرة، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة نُصوص ووثائق، رقم 2.

- عويس عبد الحليم، (1991م). **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، ط2، القاهرة: دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، المنصورة: دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

- أبو الفداء، عماد الدِّين إسماعيل بن محمَّد بن عمر، (1840م). **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود، والبارون ماك كوكين دسيلان، بيروت: دار صادر.

- مجهول، مؤلِف مرَّاكشي من أهل القرن السَّادس الهجري، (د.ت). **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية.

- المقريزي، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عليّ، (2006م). **جنى الأزهار من الرَّوض المعطار**، ط1، تقديم وتحقيق وتعليق محمَّد زينهم، القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

- أرشيباد .ر. لويس، (د.ت). **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (1100-500م)**، ترجمة أحمد محمَّد عيسى، مراجعة وتقديم محمَّد شفيق غربال، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- Dominique VALERIAN. (2013). **La place de Béjaia dans les réseaux d'échanges en Méditerranée (XIII^{e}-XIV^{e} siècle)**. Actes du colloque BEJAIA, VILLE D'**HISTOIRE ET DE CIVILISATION (Béjaia, le 30 et 31 octobre 2012).** Sous la directoin de Settar OUATMANI. Béjaia: Publication de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales, Université Abderrahmane Mira de Béjaia.

- Laurent Charles FÉRAUD. (2013). **Histoire de Bougie**, Préface: ((Il faut revoir Bougie)) du Professeur Djamel AÏSSANI, Béjaïa: Editions TALANTIKIT.

للإحالة على هذا المقال:

- حموم خالد، (2022)، «**بجاية في العصر الوسيط – دراسة في أحوالها الاقتصادية من القرن 5 إلى 10هـ/11-16م**» . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 700- 714.